بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المدرس المساعد احمد عبد الاله خليل من كلية الاداب الجامعة المستنصرية

عنوان محاضرتنا (دولة المرابطين في بلاد المغرب العربي ٤٤٨- ٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)
محاضرة مقدمة الى طلبة المرحلة الثانية قسم التاريخ

ينتسب المرابطين إلى قبيلة لمتونة إحدى قبائل صنهاجة من البرانس ، وقد اختلف المؤرخون في سبب ارتدائهم اللثام فمنهم من يرى أن سبب تلثمهم يرجع إلى كونهم صدقوا بدعوة الرسول الله ﷺ وكان عددهم قليلا فتعرضوا الى المضايقة من قبل اهل الكفر فتلثموا وفروا بأنفسهم من اليمن الى المغرب وصار اللثام زيا لهم ، ويرى البعض ان سبب ارتدائهم اللثام يرجع الى المعتقدات امنوا بها وفي ذلك يقول ابن حوقل (بعد ٣٦٧ هـ/٨٨٠م) "وهم يتلثمون وهم اطفال يزعمون ان الفم يستحق الستر كالعورة " ، اما عن سبب تسميتهم بالمرابطين فيرجع الى انهم لزموا رابطة الشيخ عبد الله بن ياسين الجزولي الذي اخذ يفقههم فيها ويحثهم على الجهاد لاعلاء الدين الاسلامي ونشره في الاماكن التي لم يصل اليها الدين الاسلامي ويعملوا على تشجيع الناس والقبائل التي كانت على الوثنية ان تعتنق الاسلام

وعلى مايبدو ان كلمة مرابط اصبحت في ما بعد لقباً عسكرياً يمنحه كل سلطان مرابطي لاتباعه ، فعندما ملك الامير يوسف بن تاشفين بلاد الاندلس تسمى هو واصحابه بالمرابطين ومن بعده ابنه الامير علي بن يوسف بن تاشفين الذي تلقب بامير المسلمين وسمى اصحابه بالمرابطين وترجع اولية المرابطين الى يحيى بن ابراهيم الجدالي امير جدالة الذي توجه لاداء فريضة الحج سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م) وفي طريق العودة مر بالقيروان وحضر بها مجلس الفقيه ابي عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي فساله عن قومه فاجابه بانهم قوما جهلاء لا يعرفون امور الدين منقطعين في الصحراء لا يصل الى بلادهم سوى التجار وطلب منه معه أحد تلاميذه يفقههم في أمور الدين ،راد الشيخ أبو عمران إرسال أحد تلاميذه مع يحيى بن إبراهيم

إلا أنه لم يقدم أحد من تلاميذه للقيام بهذه المهمة ، والسبب يرجع الى بعد المسافة صعوبة المهمة لذا وجه الفقة ابو عمران الفاسي الامير يحيى بن ابراهيم احد تلاميذه في مدينة نفيس يدعى وجاج ابن زلوا اللمطي وطلب منه ان يبعث احد تلاميذه مع الامير يحيى بن ابراهيم فارسل معه عبد الله بن ياسين الجزولي ، وسار عبد الله بن ياسين مع الامير يحيى بن ابراهيم الى قبيلة جدالة الذين فرحوا بمقدمه واجتمع حوله سبعين شيخا من اهل الخير منهم ليعلمهم ويفقههم في امور دينهم وبعدها اتجه الى قبيلة لمتونة وحارب المعارضين لدعوته وتمكن من ضم عدد كبير منهم الى جانبه .

واجه الفقية عبد الله بن ياسين صعوبة كبيرة في مهمته اذ وجد اكثر رجال هذه القبائل لايصلون وقد غاب عليهم الجهال وكانوا يمارسون عادات منافية لتعاليم الدين الاسلامي فاخذ عبد الله بن ياسين امرهم بالمعروف ينهاهم عن المنكر وقد تشدد عليهم في ترك ماهم عليه من المنكرات واخذ الناس ينفرون من حوله

وما ان راى عبد الله بن ياسين نفور الناس من حوله حتى قرر العودة الى دياره ، غير ان الامير يحيى بن ابراهيم اشار عليه بالبقاء معه والمرابطة في احدى الجزر الموجودة في بلاده وجعلها رباطا للعبادة ولقد لقيت فكرة الامير يحيى بن ابراهيم قبولا من قبل الفقيه عبد الله بن ياسين الذي بدا الرباط في هذه الجزيرة سنة (٤٣٣هـ/١٠٤١م) وكان عدد المرابطين فيه ٧ اشخاص ولم تمضي سوى ٣ اشهر حتى اصبح عدد المرابطين نحو الالف .

وبعد تزايد عدد انصار الفقيه عبد الله بن ياسين وبلغ عددهم ثلاثة الاف مرابط امره بمقاتلة قبيلة جدالة وبعد قتال شديد تمكن الفقيه عبد الله بن ياسين من اخضاعهم (سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م) ومن ثم اتجه الى قبيلة لمتونة فبايعه اهلها على الكتاب والسنة .

وقد شهدت سنة (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) وفاة الامير يحيى بن ابراهيم فاختار الفقيه عبد الله بن ياسين لامارة الملثمين يحيى بن عمر اللمتوني .

وبعد استشهاد الامير يحيى بن عمر سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م اثناء قتاله قبيلة برغواطة عين الفقيه عبد الله بن ياسين ابا بكر بن عمر اللمتوني سنة ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦م خلفا لاخيه وامره بمتابعة الفتح بأتجاه الشمال وكان على مقدمة جيشه ابن عمه يوسف بن تاشفين.

واصل الفقيه عبد الله جهاده ضد قبائل الصحراء حتى استشهاده سنة (٤٥١هـ/١٠٥٩م) اثناء قتاله قبائل برغواطة واختار المرابطون لرئاستهم ابا بكر بن عمر اللمتوني الذي توجه سنة (٤٥٣هـ /١٠٦١م) الى صحراء الجنوب من اجل نشر الاسلام في بلاد السودان وخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين .

ما ان تسلم الامير يوسف بن تاشفين زمام الامور حتى شرع بتاسيس مدينة مراكش وعمل على حفر الابار فيها سنة (٤٥٤هـ/١٠٦٢م) كما عمل على تاسيس جيش قوي بلغ تعداده مائة الف فارس واستطاع بواسطته اخضاع جميع مدن المغرب الواحدة تلو الاخرى حتى تمت سيطرته على البلاد سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م)

وفى عهده تم الإتصال بالخلافة العباسية ، اعترافاً بالخليفة العباسي ، وسلطته الروحية على العالم الإسلامى وفى نفس الوقت طلبا للتأييد والاعتراف من الخلافة العباسية وفى هذا دهم للدولة ودعوتها الدينية التي تأسست عليها ، وقد مثل بعض المؤرخين سبب إتصال المرابطين بالخلافة العباسية من أن علماء الأندلس طلبوا من يوسف بن تاشفين إعتراف الخلافة العباسية بشرعيته في إدارة البلاد

ومن هنا أرسل يوسف بن تاشفين وفدا إلى بغداد ومعه هدية نفيسة وكتاباً يذكر فيه ما قام به من جهود في سبيل نصرة الدين ويطلب إعتراف العباسين به وكان إتصال المرابطين بالخلافة العباسية عقب الإنتصار العظيم الذي حققه يوسف بن تاشفين في الزلاقة سنة ٥٤٧ / ١٠٨٦م وما أعقبه من فرض سلطانه السياسي على الأندلس ، وقد استجابت الخلافة العباسية لهذا الوفد وأرسلت الخلع والتقليد إلى يوسف بن تاشفين ، واتخذ إعتراف المرابطين بالخلافة العباسية عدة مظاهر تؤيد تلك التبعية الروحية الخلافة العباسية وذلك حين دعا المرابطون على

منابرهم لبنى العباس كما كانوا يذكرون أدباء خلفاء بني العباس على نقودهم وبجانب ذلك فإن المرابطين التخلوا السواد شعاراً لهم في ملابسهم وأعلامهم اقتداء بزى بني العباس

ولم يكن موقف المرابطين بالنسبة للخلافة العباسية مقتصراً على عهد يوسف تاشفين ، بل امتد إلى من جاء بعده ، فابنه علي بن يوسف الذي تولى حكم المرابطين في سنة ٥٠٠هـ تراه يواصل نفس سياسة أبيه ، وذلك بالإتصال بالخلافة العباسية معترفاً بها وطالباً تجديد العهد وبطبيعة الحال كان الترحيب والإستجابة من جانب الخلافة العباسية ، وقد تمثل ذلك في تلك الرسالة التي أوردها صاحب الحلل الموشية ، والتى أرسلها الخليفة المستظهر إلى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين والتى تتضمن عدة نصائح موجهة من الخليفة العباسي إلى أمير المرابطين

وقد أصبح الاعتراف بالخلافة العباسية والدعاء لها على المنابر سمة من سمات حكم المرابطين

يعد الامير يوسف بن تاشفين المؤسس الحقيقي لنظام دولة المرابطين والذي وضع نظام الوراثة في الحكم فقد كان يخشى ان تكون الفوضى والاضطرابات من بعده لذلك ارتأى يوسف ان يعين ابنه علي بن يوسف لولاية العهد سنة (٤٩٦هـ/١١٠٢م) ان من اهم الاسباب التي ارتأى يوسف بن تاشفين في اختيار ابنه علي لها اهداف بعيدة فالأندلس التي تمثل جزءاً مهما من مملكته فضلا عن كونها تمثل خط المواجهة الاول مع النصارى ولابد ان يكون حاكمها الجديد على معرفة ودراية بأحوالهم ولم يكن هنالك شخص مؤهل لذلك افضل من علي لاتصاله بالأندلسيين عن طريق امه ومن جانب وعن طريق نشأته بسبتة من جانب اخر فقد عاش علي في الاندلس اكثر مما عاش في المغرب ولا عجب ان تكون الحضارة الاندلسية قد اثرت في شخصيته وتربيته اكثر من المؤثرات المغربية

انتهج سلطان علي بن يوسف بن تاشفين على نهج سياسية والده في اختيار ولي للعهد فقد بدا يفكر في اختيار شخصية قوية من بعده للحفاظ عليها من الطامعين ، جمع علي بن يوسف

تاشفين كبار رجالات ، ومستشاريه وعرض عليهم الامر وطلب منهم ان يختاروا من يجدوا فيه الكفاءة والقدرة على تولي زمام الامور بعد الامير علي بن يوسف بن تاشفين فاختاروا تاشفين بن علي (٥٣٧- ٥٣٩هـ /١١٤٢-١١٤٤م)( ) لولاية العهد المرابطين والذي عرف بالجهاد وكفاية في بلاد الاندلس ضد الممالك الاسبانية حيث كان والي الاندلس في عهد ابيه سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م) ،ويشير ابن عذاري (ت٧١٢هـ/١٣١٢م) عن كفائته في أمور الحرب والقيادة " فقوى الحصون وسد الثغور واذكى العيون على العدو". ونظرا لانجازاته العسكرية عقدت له ولاية العهد ونقشت اسمه على الدنانير والدراهم الى جانب اسم ابيه وقلده الامور السلطانية فاستقل بذلك

وفى سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) عبر يوسف بن تاشفين البحر إلى الأندلس، وذلك استجابة لنداء بعض ملوك الطوائف، وعلى رأسهم " المعتمد بن عباد أمير أشبيلية، حيث اشتبك مع جيوش ألفونسو السادس فى موقعة الزلاقة" في رجب عام ٤٧٩هـ ، وحيث انتصرت الجيوش المرابطية والأندلسية انتصارًا ساحقا، ثم اجتاحت جيوش المرابطين بعدئذ بلاد الأندلس وأطاحت بعروش ملوك الطوائف، فقضى على المعتصم بن صمادح بالمرية، وبنى هود بسرقسطة، وبنى طاهر بمرسية، وبنى عباد بأشبيلية، وبذلك شملت إمبراطورية المرابطين بلاد الأندلس، واتخذ يوسف بن تاشفين لقب" أمير المسلمين" منذ ذلك الحين، ثم توفى عام ٤٩٣هـ (١٠٩٩م) فتولى الأمر من بعده ابنه علي وأستن سنة والده في اتخاذه نفس اللقب لنفسه كما شق طريقه في الجهاد ضد الأعداء، ولا سيما النصارى فى الأندلس.

ولقد أورث يوسف بن تاشفين لابنه على إمبراطورية فسيحة الأرجاء، مترامية الأطراف، تمتد من بجاية فى الجزائر شرقا إلى بلاد السوس الأقصى غربا، ومن تافيلالت" إلى السودان جنوبًا، بالإضافة إلى إسبانيا بأكملها، لكن بعد الكمال يكون الانحطاط والأيام دول، فقد أخذ المرابطون يترددون في منازل اللهو والترف، الأمر الذى أضعف من خشونتهم، وفقد الجنود - تحت عامل الحضارة التي غرقوا في بحارها - صفاتهم الأصيلة ومبادئهم الأولى،: "

لقد لحقت الهزائم الجيوش المرابطية فى الأندلس، وسقطت كثير من المدن الأندلسية فى أيدى النصارى، وحينئذ أدرك الأندلسيون أن المرابطين قد عجزوا تماما عن حمايتهم، ، فخلع مسلمو الأندلس سلطان المرابطين، ودعوا للموحدين